## سبعة في ظل الله .. يوم لا ظل إلا ظله

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظلله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عاَّدل وشــاب نشــا في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه و تفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتني لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضَّتْ عيناه « متفقّ

## التعريف بالراوى:

هو الصحابي الجليل ، سيد الحفّاظ الأثبات ، أبو هريرة رضى الله عنه ، اختلف في أسمه واستم أبيه على أقوال كَثيرة ، أرجحها أنه: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر ، أول سنة سبع. قال الذهبي: ( حمَّلَ عن النبيِّ صلى اللهُ عِليهُ وسلم علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه

، لم يلحق في كثرته) ولم يرو أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر منه ، للازمته له ، فقد بلغت مروياته

روى البخاري عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: إنكم تقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة ؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم لصفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، فأشهد إذا غابواً ، وأحفظ إذا نسوا. وكان يشغل إِخُوتِي مِن الأنصّارِ عَمل أُموالهم ، وكُنتَّ امرأ مسكيناً من مساكين الصفة أعي حين ينسون ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث بحدثه: إنّه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضى هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعيى ما أقول ، فبسطت نمرة علي ، حتى إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته جمعتها إلى صدري ، فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله

عليه وسلم شيء.

توفي أبو هريرة رضي الله عنه سنة سبع وخمسين للهجرة. الأحكام والتوجيهات:

1 – من فضل الله سيحانه وتعالى أن جعل بعض الأعمال ينال صاحبها جزاء خاصاً ، لتميزه بهذا العمل، وهذا فيه حت وترغيب في أمور كثيرة من

وهنا ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء هؤلاء السبعة الذين تميز كل منهم بميزة خاصة ، وذَّكَر هَـُذا الفضلُ فَـي أحاديث أخرى لغير هؤلاء السبعة ، مثل : الغازي في سبيل الله ، والذي ينظر المعسر، ومعين الغارم ، وكثير الخطى إلى المساجد، وغيرهم ، مما جعل أهل العلم يقولون أن العدد المذكور لا مفهوم له ، فلا يراد به الحصر .

وقد تتبع الحافظ ابن حجر رحمه الله تلُّك الخصال ، وأفرادها في كتاب اسمه: ( معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال) . 2 - ذكر الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له أيضاً ، إذ تدخل

النساء معهم قيما ذكر إلا في وضعين، هما: ر. أ- الولاية العظمي والقضاء، فالمرأة لا تلى المسلمين ولاية عامة ، ولا تكون قاضية ، لكن ينطبق علَّدها العدلُّ فيما تصح به والايتها ، كمديرة المدرسة ، ونحوها .

ب- ملازمة المسجد، لأن صلاة

الله عليه وسلم، وسيرة السلف المرأة في بيتها أفضل من المسد. الصالح . وباقى الخّصال تدخل فيها المرأة . 3 - لقد عظم الشرع أمر العدل،

سواء كان في الولاية العظمي ، أو فيمًا دونهًا من الولايات ، حتى في أمور الإنسان الأسرية ، كالعدل بين الزوجات ، والعدل بين الأولاد، وغير ذلك، قال تعالى: ( وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم)() وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ الله عليه واعدلوا بين أو لادكم » وقال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عيز وجل،

وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ». وَذكر الْإِمام العادل في أول الخصال لعظم أمر الإمامة وألعدل

4 – مرحلة الشباب من أهم مراحل العمر، تقوى فيها العزيمة ، وتكثر الآراء ، وتمتلئ بالحيوية والنشاط ، ولهذا من سلك منهج الله في شيابه ، وغالب هواه ونزواته ، استحق تلك الدرجة العالية المذكورة في الحديث ، وما يعين الشباب على تحقيق هذه

الخصلة: أ- طلب العلم والانشغال به. ب- تعويد النفس على استغلال الوقت بشّتى الوسائل ، كبر الوالدين ، وقضاء حوائجهما

-6 العلاقات بين الناس قائمة

ج- مصادقة الصالحين المستقيمين على منهج الله تعالى. د- محاولة استغلال فرصة الشباب بحفظ كتاب الله تعالى أو شيء منه. 5 – المساجد بيوت الله ،

ومكان أداء الغبادة المفروضة، وأنواع من العبادات المستحبة، وميدان العلم والتعلم، والمذاكرة والمناصحة ، وكلها أعمال جليلة، يستحق المالازم لها ذلك الثواب العظيم، بالإضافة إلى أن المتعلق بالمسجد بعيد عن رؤية المنكرات، وقريب من الله سبحانه وتعالى ، فيصفو قلبه، وتنجلي همومة وأكداره ، ويعيش في روضة من رياض الجنة ، وبدلك تكفر سيئاته ، وتكثر حسناته

والتعلق بالمساحد لا بعن الجلوس فيها جميع الأوقات ، بلّ وقت دون وقت ، لكن إذا خرج منها فإنه يحب الرجوع إليهاً، وإذا جلس قيها أنس واطمأن وارتاحت

على أسس متعددة من مصالح مادية ، وقراية ، وشراكة مالية ، وتجانس خلقى ، ونحوها ، والإسلام يشجع قوة الترابط بين المسلمين على أساس من المحبة في الله ، والقاسم المشترك فيها طاعة الله تعالى ، ، وقراءة سيرة الرسول صلى ونصوص الكتاب والسنة تركّز

على هذا الجانب، يقول تعالى : (إنَّمَا المؤمنونَ إخوة) ، ويقولُ تعالى ( الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « أو ثق عري الإيمان : الحب في

الله . والبغض في الله ). 7 - للنفس البشرية رغبات وشهوات ، وجه الإسلام لإشباعها بمنهج ثابت معلوم ، والشيطان حريب على أن يميل الإنسان مع شهواته ويتبعها حتى يشاركه في العي والضلال، ومّما يميل إليه الرجلّ المرأة ، فإن اتصفت بصفات الجمال والمنصب والحسب والشرف ، كان إليها أكثر ميلاً ، فإذا ما كانت الدعوة موحهة منها ، مع الأمن من الخوف تساقت إليها نفس الرجل أكثر ، وهنا يظهر داعي الإيمان عند المؤمن الصادق ، فيقول : إنى أخاف الله ، فإذا قالها بلسان وصدقها عمله

، نال جـزاءه العظيم المذكور في الحديث، وهكذا يريد الإسلام بأن يكون الرجال والنساء أعفاء شرفاء ، بعيدين عن الفواحش والآثام والمحرمات ، يراقبون الله سرا وعلانية . قال الشاعر :

وإذا خلوت ريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان فاستحي من نظر آلإله وقل لها إن الذيّ خلق الظّلام يراني 8 - الصدقة مبدأ عظيم،

وفضلها جسيم ، وثمارها يانعة ، في الدنيا والآخرة ، لا تحصى النصوص في بيان فضلها وتوابها ، ومضاعفة الأجر لصاحبها ، وقربه من الجنةورضا الله، وحجبه عن النار ، يقول الله تعالى : ( مثل الذين ينفقون أموالهم في سُبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع ب نابل في كل سنبلة مائة حية والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم). والصدقة فاضلة سراً وعلانية

، يقول تعالى : ( إِنْ تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله

بما تعملون خبير ). والأفضل في إظهار الصدقة أو إخفائها بختلف بأختلاف أُرْبُ وَالْ ، فإن كان في إظهارها مصلحة فهو أفضيًّا ، وإلا فإخفاؤها أفضل فرضاً ونفلاً.

و - نكر الله تعالى من أفضل الأعمال ، ومن أيسرها ، فقيه ثناء على الله ، وتمجيد ، وحمد، وشكر له بما هو أهله ، واعتراف بالتقصير تجاهله ، وإذا كأن هنذا الثناء والذكر بعيداً عن أعين الناس، وأثر في صاحبه خوفا وخشية دمعت منها عيناه ، أثابه الله تعالى على هذا الذكر الصادق الخالص بأن يظله في ظله يوم لا ظل إلا

10 - مما أفاده الحديث: إخلاص العبادة لله جل وعلا ، فالأمر الجامع بين العمال المذكورة في الحديث إخلاصها لله سبحانه وتعالى، وتجريدها عن المقاصد الأخرى.

11 - ومن الأمور الجامعة بين هذه الصفات أيضا: الصبر و التحمل، ولا شك أن طاعة الله تعالى وتنفيذ أوامره تحتاج إلى صبر ومصابرة، لأن فيها معارضة للشيطان والنفس والهوى، فإذا جاهدهم وانتصر عليهم استحق الجزاء الأوفى. 12 – مما ب شدنا اليه الحديث

أيضا: أن يحرصِ المؤمِن على أنْ بوجد له عملاً خفياً لا يعلم عنه أحد من الناس ، ليكون أبعد عن الرياء ، وليتعود الإخلاص، فإن هذا مما يزيد ممار سته لتلك الأعمال الجليلة .

## التريية بالوصف القرآني

اقضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن لايترك البشرية دون أن برسيلهم لهم رسيولاً ببلغهم الدين ويرشّبِدهم إلى الصراط المستقيم، وأنزل مع كل رسول معجزة تكون دليلا وبرهانا على صدق نبوته وبيان رسالته ، وكانت معجزات الأنبياء عليهم السلام كلُّ من فن القوم الذين أرسل إليهم، فموسى عليه وعلى نبينا السلام آتاه الله عزوجل معجزة تفوق السـحر الذيّ اشـتهر وانّتشّـر فـى قومه ، فكان جواب السـحرة لما أَلقَى موسـّى عصّاه فإذا هي تلقف ما يأَفكون: « قالوّ آمنا برب العالمين × رب موسى وهارون « وعيسى عليه السلام اشتهر قومه بالطب فآته الله عزوجل معجزات تفوق الطب وتتجاوزه، كما قال سبحانه ممتناً على عيسى عليه السلام: « إذ قال الله يا عيسى ابسن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتسك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تُخلقُ من الطِّين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بنيّ إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين « سورة المائدة: 110

وكان قوم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم العرب يفتخرون بالبلاغة ويحبون الشعر ويفتخرون بالشعراء ويعدوهم مفخرة للقبيلة، وكانت تقام الأسواق الأدبية التي تفاخر بها العرب كسوق عكاظ وذى المجاز وغيرها، فأرسل الله عزوجل رسوله بهذه المعجزة الخالدة التي هي من جنس الكلام العرب فلا هو شـعر فيجاروه ولاهو نثر فيباروه ، وهو من صميم كالأمهم الذي ألفوه ، فلم يستطيع أن يأتوا بمثله، وقد تحداهم الله عزوجل على مراحل فمن ذلك: تحدى العرب أرباب البلاغة والفصاحة أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال سبحانه: « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا « سورة الإسراء:88

ثم تحداهم الله عزجل أن يأتوا بعشر سور فقال سبحانه: « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين « سورة هود:13 ثم تحداهم الله عزوجل أن يأتوا بسورة واحدة فقال سبحانه: « أم

يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين « سورة يونس:38 وكل من أراد أن يجاري القرآن لم يستطع إلى ذلك سبيلاً كمسيلمة

الكذاب وغيره من الكذابين. فهذا الكتاب المعجز فيه أصل كل خير، فينبغى لنا معاشر المربين أن نعود إليه ونتلمس تربيتنا منه وننطلق منه وإليه.

مًّا أَنْزَلُ الْقَرآنَ كَيِّماً تقتني .....منه التمائم في صدور الرضع

ما أنزل القرآن كي يتلى علي .... قبر تمدد فيه ميت لا يعي ما أنزل القرآن إلَّا مُنهجاً....للناس يهدفُ للنَّعيم الأمرُّع تستنبط الآيات من أحكامه....ويكون للتشريع أفضُل مرجع والحديــث عن التربية بالوصف القرآني هو حديث قديم وله أصل في أخبار سلفنا الصالح، فمن ذلك ما روي أن الأحنف بن قيسٍ كان جالسا يومًا فجال في خاطره قوله تعالى: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم

فقال:علىّ بالمصحف لألتمس ذكري حتى أعلم من أنا ومن أشبه؟ فمر بقوم «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم « ومرّ بقوم «ينفقونَ في السرّاء

والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس « فمرّ بقوم « يؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن بوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلّحون « ومرّ بقوم « يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون « فقال تواضعا منه : اللهم لست أعرف نفسى في هؤلاء، شم أخذ يقرأ، ومر بقوم «إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون « ومرّ بقوم: يقال لهم «ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعه السكين « فقال: اللهم إنّى أبرأ إليك من هـؤلاء ، حتى وقع على قوله تعالى: «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم « فقال : اللهم أنا

فاهتمام الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح في تربية أنفسهم على كتاب الله سنة رسول الله كان من أصول التربية، وأسس الثبات على المنهج، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحربن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله عنه وكان القراء (أي أهل القرآن) أصحاب مجلس عمر رضى الله عنه ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا. فقال عيينه لابن أخيه : يا ابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه . فاستأذن فأذن له عمر . فلمَّا دخلُ قال : هي يا ابن الخطاب فواللَّه ما تعطينا الجزَّل ولَّا تحكم فينا بالعدل. فغضَّب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه و سلم: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين « وإن هذا من الجاهلين . والله ما جاوزها عمر حين تلاها وكان وقافا عند كتاب الله تعالى . وأمثلة هذا كثير في سير أئمتنا الكرام وسنأتي على جزء منها

ومن الطرق العملية والخطوات التربوية في تدبر القرآن والتربية على الوصف القرآني ما ذكرته الدكتور رقية العلواني في بحث بعنوان: تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، ويمكن تلخيصه في الخطوات التالية:

-1 تعليم المتعلم عادات وسلوكيات قرآنية منذ نعومة اظافرة ، كتنظيم الوقت و استغلالة بشكل صحيح ، وربط تلك السلوكيات بآيات القرآن وإعطاء المتعلم (حسب الفئات العمرية) تدريبات من القران الكريم ليستنبط منها تلك السلوكيات. ومن ذلك التركيز على الاخْذُ بِالقَصْلُصُ القرآنية في التربية والتعرف على الكون والحيوانَ والنفس من خلال النظر في آيات القران الكريم لينشأ الجيل على الربط بين القران والكون والنفس.

-2 توفير البيئه اللازمة لتنمية تدبر المسلم من خلال نبذ التقليد وتوعية الناس بأهمية التفكير السليم والعودة الى كتاب الله وتدبرة وترك الفرقة والتراع والبعد عن التكبر عن قبول الحق والاصغاء الي

الحق فالحكمة ضاله المؤمن اني وجدها فهو اولي الناس بها . -3 تفعيل وسائل التدبر الاداركية للنفس والتي اهمها السمع وهو اساس العلم المنقول. وقد امر الله به واثنى على اهله واخبر ان لهم البشرى. قال تعالى: واذا سمعوا ما انزل آلى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع

-4 ادراك القارئ بانه مخاطب من القران واياته كما خوطبت بها السابقون . الامر الـذي يجعل القارئ يلتفت الى الايـات ويتدبر فيها

طالما انه استشعر انها موجهة له . يقول ابن القيم في ذلك : « اكثر الناس لا بشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلو من قبل ولم يتعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب و بين فهم القران، ولعمر الله ان كان اولئك قد خلو فقد ورثهم من هو مثلهم او شر منهم او دونهم وتناول القران كتناوله لاولئك . -5 الاهتمام بالتأني في التلاوة فلا يكن هم القارئ ان ينتهي من

السورة او الجُزِّء بِـل لَّيكِنَّ همـه الأول فَهم المعانيي وتدبرها . ويتمكن الاستعانه بالاعادة و التكرار للأيات في سبيل تحقيق ذلك . -6 الاهتمام باللغّة العربية والرجّوع الى المعاجّم لمعرفة معاني الكلمات التي تشكل عليه ، اضافه الى ضرورة النظر الى كلام العلماء

وقراءه ما كتبوا في تفسير القران الكريم، فلا ياتبي التدبر دون فهم -7 معرفه المعنى الاجمالي للايات في البداية وذلك من بعض التفاسير المعتمدة المختصرة التي تتناول معانى الكلمات باجمال دون

ضرورة الوقوف على التفاصيل والخوض في المطولات والشروح -8 الاهتمام بالقراءه الشمولية لايات القران وقصصه وحواراته دون القراءه التجزيّئية التي تنتزع كلمة أو اية معينه من سياقها لاثبات رأى معين أو استخلاص حكم معين.

-9 الأهتمام بالمناسبات والروابط بين الايات والسور وهو علم دقيق تعرف به وجوه ارتباط اجزاء القران بعضها ببعض. -10 الاهتمام بمقاصد السور واهدافها فللقران مقاصد واهداف ولكل سوره مقصد خاص بها .

-11 انشعال القلب والعقل بايات القران والحياة معها وصرف الذهن الى الاجواء والظروف التي نزلت فيها. -12 عمل دورات وورش عمل تطبيقية بشرف عليها المتخصصون

في تدبير القران وتشجيع ذلك ، خاصة في مواسم المسابقات الدولية لحُّفظ الَّقُرانَ والتَّى تقام فَّى انحاء متعددة من دول العالم الاسلامي . -13 استحضار أهمية العمل والتطبيق لما يتدبره المسلم ومايتوصل اليه في واقعه وحياته حتى يصبح القران واقعا نحياه وسلوكا عمليا نسير على هداه .

فهُّذه الَّخطوات العملية للتربية على الوصف القرآني بحاجة إلى تطبيق، خذ مثلاً آيات عباد الرحمن وهي الآيات من 77-63 من سورة الفرقان أو بداية سورة المؤمنون وطبق عليها مثل هذه الخطوات العملية لتصل بنفسك إلى رقى درجات التربية وتمكن من تعديل سلوكك وفق مراد الله سبحانه وتعالى.

اخْتَم بُحديثُين عن الصحابة رضوّان الله عليه في كيفية تربيتهم لأنفسسهم على كتباب الله ، فمن ذلك ما رواه ابن مستقود، قبال: «كانَ الرجلِ منَّا إِذَا تعلَّم عَشر آيات لـم يجاوزهُنَّ حتى يعرف معانيهُنّ،

وروي عَنْ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ، يَقُول: « لَقَدْ عِشْــنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ وَأَحَدُنَا يَرُى الْإِيمَانِ قَبْلُ الْقُرُآنِ، وَتَنْزُلُ السُّــوِرَةُ عَلَــي مُحَمِّدٍ – صَلَى اللَّهُ عَلَيْهٍ يَرَى الْإِيمَانِ قَبْلُ الْقُرُآنِ، وَتَنْزُلُ السُّــوِرَةُ عَلَــي مُحَمِّدٍ – صَلَى اللَّهُ عَلَيْهٍ وَّسَلِمَ – فَنُتَعَلِّمُ حَلَالُهَا وَحَرامَهَا، وَأَمْرَهَا وِّزَاجِرَهًا، وَمَا يَنْبَغي أَنْ نو قَـفِ عِنْدَهُ مِنِهَـا، كَمَا تِعَلَّمُونَ أَنِتُبُمُ اليَوْمَ الِقَرْآنَ، ثُمَّ لقَـدْ رَأَيْتُ اليُّوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَخْدُهُمُ إِلْقُرْآنَ قَنْلَ الْإِيمَانِّنِ، فَيُقِّرَأَ مَا يُئِنَ فَاتَجَتِهِ إِلَي خَاتِمِتِهِ، وَلاَّ يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلا زَاجِرُهُ، وَلاَ مَا يَنبَغِي أَنْ يَقِفَ عِندُهُ مِنهُ، وَيَنُثُرُهُ نَثْرَ الدَّقْلَ «



## وقفات رمضانية «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم»

قال الله تعالى [ وَعَسِي أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خُيْرٌ لَكُمْ وَعُسِّى أَنْ تُحَبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرِّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ] شَرْ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ] العقرة: 216

في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتى بالمحبوب، والمحبوب قد يأتى بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضره من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منِها ما لا يعلمه العبد أوحب له ذلك أموراً:

منها: أنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الإبتداء ، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع. وكذلك لا شيء أضر عليه من ارتكاب النهي وإن هويته نفسه ومالت إليه، فإن عواقبة كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب، وخاصية العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واحتناب اللذة اليسترة لما يعقبها من الألم العظيم

والشر الطويل فنظر الجاهل لا يجاوز الميادئ إلى غاياتها، والعقل الكيس دائماً ينظر إلى الغايات من وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهي كطعام لذبذ قد خلط فيه سم قاتل ، فكلما دعته لذته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم، ويرى الأوامر كدواء كريه المذاق مفض إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة

مذاقه عن تناوله أمره نفعه بالتناول. ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تدرك به الغايات من مبادئها ، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما بؤمل عند الغاية ، فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوي يقينه وصبره هان علمه كل مشقة بتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة .

ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضى من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور ، والرضا بما يختاره له ويقضيه له ، لما يرجو فيه من حسن العاقية .

ومنها: أنه لا يقترح على ربه ولا يختار عليه ولا يساله ما ليس له به علم ، فلعل مضرّته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئا بل يساله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره فلا أنفع له من ذلك .

ومنها: أنه إذا فوض أمره إلى ربه ورضى بما يختاره له أمـدّه فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الأفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه ، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لـم يكن ليصل إلى

بعضه بما بختاره هو لنفسه. ومنها: أنه يريحه من الأفكار المتبعة في أنواع الإختيارات ، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة وينزل في آخرى، ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه ، فلو رضى باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه ، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه ، لأنه مع اختياره لنفسه ، ومتى صح تفويضه ورضاه ، اكتنفه في المقدور والعطف عليه واللطف به فيصير بن عطفه ولطفه ، فعطفه يقيه مايحذره ، ولطفه يهون عليه مافدّرهُ.

إذا نفذ القدر في العبد كان من أعظم أسباب نفوذه تحيله في رده ، فلا أنفع له من الاستسلام وإلقاء نفسه بين يدي القدر طريحا كالميته ، فإن السبع لا يرضى بأكل الجيف.